الشاهد الشعري
على المقتربات العقائدية الجاهلية مع الإسلام

د. خالد ناجي السامرائي
جامعة بغداد . كلية التربية للبنات . قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

كثر الحديث عن عصر الجاهلية وأسهب العلماء والرواة في التطرق إليه ، ووصف طبيعته وان كان هذا الإسهاب سطحياً من دون الولوج إلى مسارب دقائق حياة الجاهليين وفهم مغزاها ودلالاتها .

وجد العلماء والرواة المسلمون أنفسهم على طرفي نقيض مع كل ما جاء به الجاهليون وما مارسوه واعتنقوه وفي خضم حماستهم للإسلام العظيم وبيان مكامن هذه العظمة، راحوا يسفهون الحياة الجاهلية وينتقصون من عقلية العربي الجاهلي وينعتونه بمختلف النعوت التي تدور في فلك الجهل والسفه والانحلال . وإذ لا يمكن لأي باحث منصف أن ينكر عظمة الإسلام والرسالة المحمدية التي كان لها الفضل الأول في إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، لا يمكن أن ننكر ونتقاطع بشكل مطلق مع كل جزئيات الحياة الجاهلية، ويمكن الاستدلال على صحة ما نذهب إليه في هذا السياق من خلال إقرار الرسول العظيم محمد ﷺ للكثير من العادات والقيم الجاهلية، فحب الضيف وإكرامه والذود عن الحمى والشرف والنخوة ، والنجدة والصدق والأمانة وإغاثة الملهوف ، والترفع عن الغدر والخيانة ، وغير ذلك كثير ، كانت مفردات تشكل جانباً مهماً من حياة الجاهليين التي أكدها الرسول العظيم ﷺ وحث الناس على اعتناقها والعمل بها.

ذهب العلماء العرب وغير العرب في تسفيه الحياة الجاهلية مذهبين ، أولهما : الفريق الذي وقع تحت وطأة الحماسة والعاطفة المتطرفة للإسلام فحاول بيان الفرق الشاسع بين ما جاء به الإسلام وما كان الناس عليه في الجاهلية ، وأدَّت الغفلة وحسن النية دورهما في إعطاء الشعوبيين وأعداء العروبة مادة دسمة وغنية ليستخدموها في ذكر مثالب العروبة وتعدادها ، وتجريد العرب من مزاياهم الحضارية بدعوى أن الحضارة العربية حديثة العهد ولا يتعدى عمرها عمر الإسلام ، من دون الاعتراف بحقيقة أن العرب كانوا ورثة الحضارات العظيمة التي أنشأها أسلافهم الساميون على الأراضي العربية .

بينما كان الفريق الثاني من العلماء والرواة وذوو الأصول غير العربية بخاصة يفهم جيداً أن تجريد العرب الجاهليين من كل المزايا الحضارية هو الطريق الأمثل ونقطة الشروع التي استند إليها الشعوبيون في تدعيم دعواهم والبرهنة على صحة ما يذهبون إليه في ذم

العرب ، ومن ثم أصبح الطريق أمامهم سالكاً في محاولتهم تقويض الإسلام وتهديمه من الداخل .

إن الحياة العربية الجاهلية غنية بالكثير مما يمكن التطرق إليه للبرهنة على صحة دعوانا، فالعربي الجاهلي وان كان مشركاً بالله فأن هذا لا يمنع انه كان يتمتع بمزايا وخصال كريمة كثيرة. فمنهم الفارس المغوار وحامي الجار والذائد عن القيم الشريفة العزيزة فضلاً عن المقتربات العقدية والشعائرية الكثيرة مع الإسلام . ويمكننا في هذا السياق أن نستدل على خطر الكثير من الأحكام والروايات التي ساقها الاخباريون عن تلك الحقبة ببيان طبيعة تلك المقتربات ومغزاها .

لعل الإشراك بالله كان حجر الزاوية في وسم العرب قبل الإسلام بالجهل والضلالة والسبب الرئيس في إطلاق مصطلح الجاهلية على تلك الحقبة من تاريخهم .

مع إقرارنا بوجاهة الأسباب التي وقفت وراء هذا المصطلح إلا أن ذلك لا يعني ان عبادة الأصنام لم يكن لها أسبابها ودلالاتها ، فقد كانت وراءها فلسفة خاصة تضرب في أعماق التاريخ .

إن إحدى جوانب عظمة الإسلام تكمن في انه أعطى الحلول والأجوبة الناجعة عن كل ما دار من أسئلة ، وحدد بشدة الطرق التعبدية الحقيقية بعد أن رفع عن أعين العرب غشاوة الشرك وأحيى ديانة أبيهم إبراهيم عليه السلام هذا يعني أن طقوس الجاهليين وشعائرهم كانت محاولة للإجابة عن تلك الأسئلة واجتهاداً يعبر عن الرغبة في الوصول إلى نمط من الوشائج الجمعية بين الإنسان وربه من جهة ، وبينه وبين الطبيعة من جهة ثانية.

إن من المسلمات في علم الإنسان أن كثيراً من العادات والمعتقدات التي تسود بين الناس وتتخذ شكل تقاليد اجتماعية راسخة هي من مخلفات ديانات بدائية، ووثنية متقدمة، وأساطير وشعائر وطقوس متوارثة وانها تطورت عبر الأجيال وأثرت حتى بالديانات السماوية وانها تطبع سلوك كثير من الناس وتنعكس في نتاجهم الثقافي والفني والأدبي ، موحدين وغير موحدين.

((وتشخص الدراسات الاجتماعية والانثربولوجية ظواهر من هذه العادات والمعتقدات ضمن مسميات شتى منها: (الشمانية) فقد اخذت من كلمة (شمن) Shaman ومعناها كاهن او طبيب (شمان) او من كلمة Shemen التي معناها صنم او معبد او من اصل آخر. ويراد بها ديانة تعتقد بالشرك أي بتعدد الآلهة او بعبادة الارواح مع عبادة الطبيعة لاعتقادها بوجود أرواح كامنه فيها ويعتقد في هذا الدين ايضاً بوجود اله أعلى هو فوق جميع هذه الأرواح والقوى المؤلهة وبتأثير السحر))[1] .

وقد حدد علماء تاريخ الأديان ديانات اخرى تعبد الأشياء المادية الجامدة التي لا حياة فيها وتقدسها، لاعتقاد أصحابها بوجود قوة سحرية غير منظورة فيها تلازمها ملازمة مؤقتة، او دائمة. واتباع هذه الديانات لا يعتقدون بقدرة هذه المظاهر الجامدة على التأثير، بل يعتقدون ان ارواحاً تسكنها هي المسؤولة عن تسيير الطبيعة، والمظاهر الجامدة على هذا لا تحظى بقدسية لذاتها بقدر ما تمثل لاتباع هذه الديانات منازل للأرواح المقدسة.

ويبدو ان بعضاً من ديانات الجاهليين لم يبتعد كثيراً عن فكرة حلول روح الاله في الحجر او في رموز الطبيعة الجامدة، وكانت عبادتهم للاصنام في حقيقتها عبادة للروح التي تسكنها والتي تقربهم الى الله زلفى، يقول الله ﷻ في محكم كتابه : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[٢] .

((ويتبين من هذه الآية ومن آيات اخرى ان فريقاً من العرب كانوا يعتقدون بوجود الله، وانه هو الذي خلق الخلق، وان له السيطرة على تصرفات عباده وحركاتهم ولكنهم عبدوا الاصنام وغيرها، واتخذوا الاولياء والشفعاء لتقربهم الى الله زلفى))[٣] .

ان فكرة التقرب الى الله من خلال مخلوقاته هي فكرة تضرب عميقاً في جذور التاريخ فلا غرابة ان يعتقدها العربي الجاهلي فيتقرب الى الله ﷻ من خلال الأحجار والنجوم والشمس والقمر والاشجار وغيرها من رموز الطبيعة، ولذا كانت الرموز الطبيعية تكتسب دائماً أهمية استثنائية في المعتقد الجاهلي وحتى الأصنام التي ينحتها الإنسان ويعبدها لا تعبد لكونها من نحته وابتكاره بل لانها متشكلة من الأحجار ، وهنا يكمن سر قدسيتها آنذاك .

وفكرة التقرب الى الله من خلال مخلوقاته لم تقتصر على الرموز الطبيعية، بل تجاوزتها الى المخلوقات الحية . اما ما تناقله الاخباريون عن أناس كانوا يعبدون الهة يصنعونها من التمر او سواه ثم يأكلونها حينما يجوعون فمستبعد[٤] ، اذ ان دراسة طبيعة معتقد الجاهليين الديني ومكامن أسراره وفلسفته وبخاصة من خلال النص القرآني الكريم يدفع الى الشك في صحة هذه الأخبار .

وهناك الكثير من الاشارات التي تفيد ان اقواماً سامية قطنت المنطقة العربية وما حولها، كانوا يحرقون الهتهم او ملوكهم الذين عبدوهم ، وقد حدت هذه الطقوس ببعض الباحثين ((الى الظن بأن هذه العادة، كانت مبنية على فكرة قوى النار التطهيرية ، فهي اذ تأتي على العناصر التي لابد ان تفسد وتفنى في الانسان تجعله اهلاً للاتحاد بما هو الهي لا يقبل الفناء ، والاناس الذين كانوا يصنعون الهتهم من شبه انفسهم، ويتصورون ان الالهة

معرضة لما هم معرضون له من انحلال وموت، من الطبيعي ان يظنوا ان النار ستغدق على الالهة ما تغدق على البشر حسب اعتقادهم فيحسبون انها تطهرهم من رجس الفساد والانحلال، تغربل الفاني من الخالد في تكوينهم وتضفي عليهم شباباً أزليًّا))[٥] ، فهم لا يبغون من حرق الهتهم وملوكهم الذين عبدوهم قتل الاله والتخلص منه ، انما يعتقدون جازمين انهم بحرقه يبقونه حياً الى الابد ، بعيداً عن يد الانحلال والفناء ، فكومة الرماد المتخلفة ما هي الا جلده الذي نفاه عنه اما هو فبعيد في عوالمه الاثيرية في السماء ، فوق الأشجار ، يطير مع الريح، ينزل مع المطر، ينبت مع الحشائش والورود .

فهل كان العربي الجاهلي بعيداً عن روحية هذه العادة المقدسة وان لم يلجأ إليها ؟

نقول : انه ليس من المنطق بمكان ان يحيل العربي الجاهلي ألهه على محض فضلات بينما دأب أسلافه الساميون على البحث عن عوالم اثيرية لأرواح آلهتهم تبعدها عن نجاسة الأرض وما يعلق باجسادها من شوائب.

وقد أولت الديانات السامية بعامة والعربية منها بخاصة أهمية استثنائية للروح ، فكان الأحياء يحملون من القدسية ما يحمله الأموات ، فقد كان ((ملوك بابل الأوائل يُعبدون بصفتهم آلهة ما داموا أحياءً))[٦]. وان هذه الصفة تنتفي عنهم بمجرد موتهم وتنتقل بطريقة ما يعتقدونها الى من يخلفهم، وفكرة التقرب الى الله من خلال البشر واعتقاد بعض الناس بها مصورة في بعض مواضع القرآن مثلما ورد في سورة يوسف حين أراد أخوة يوسف التوبة والرجوع الى الله ، فإنهم لجأوا الى أبيهم ليدعوا لهم الله ليغفر لهم ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٧] ، فأخوة يوسف الذين ثقلت عليهم السيئات لإلقائهم أخاهم في الجب ، رأوا ان دعائهم قد لا يجاب لمعصيتهم ربهم، فلم يجدوا أفضل من أبيهم نبي الله يعقوب عليه السلام ليفعل ذلك ، لأنهم اعتقدوا انه نبي مقرب ودعاؤه يلقى استجابة أفضل من الله تعالى وبخاصة لكونه من تحمل تبعة آثامهم، وورد عن انس رضي الله عنه انه قال: ((قحط الناس فاستسقى عمر بالعباس وقال : اللهم انا كنا اذا قحطنا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا، قال فسقوا))[٨].

هذا الامر يدلل على ان المسلمين الأوائل اقروا مثل هذه العادات بعد ان شذبوها ورفعوا عنها ما يعتريها من شوائب الوثنية والشرك وأعطوها مسحة الإيمان والتوحيد.

واتخاذ المشركين الانداد لله، والوسائل للوصول اليه ومناجاته لا ينفي ايمانهم بوجود اله خالق اعظم، هذا الايمان تؤكده ادلة نقلية كثيرة، والا فما معنى ان يؤمن العرب بان الكعبة بيت الله؟ وما معنى ان يقدسوها كل هذا التقديس ويجتنبوا صيد طيرها وسفك الدم في حرمها؟

انهم كانوا يتشبثون ببقايا ديانة أبيهم إبراهيم عليه السلام وان ادخلوا عليها الكثير من المعتقدات والشعائر التي لا تمت لها بصلة، فلولا إيمانهم بالخالق الأعظم لما ركن عبد المطلب بن هاشم الى الله سبحانه ولما أوكل اليه حماية بيته يوم انبرى أبرهة الأشرم مصطحباً فيله لهدم البيت العتيق حينها اكتفى عبد المطلب بالسعي لاسترداد عدد من الإبل كان جيش أبرهة قد صادرها وقال قولته الشهيرة حين عوتب بانه يهتم بامر الإبل في الوقت الذي يتهدد الكعبة خطر داهم: انا رب الإبل وللبيت رب يحميه . فهل كان عبد المطلب ينتظر حماية البيت والذود عنه ضد جيش الأحباش اللجب من بضعة أحجار منحوتة ام انه كان يعلم علم اليقين ان للبيت رباً لا ينام ؟ رباً يشعر ويتحسس ويسمع ويرى ما يُراد ببيته وحرمه وحرمته فكان نصر الله لبيته آية خلدها القرآن تمثلت بطير أبابيل ترمي الجيش الآثم بحجارة من سجيل فجعلته كالعصف المأكول .

ولم يغفل الشعراء الجاهليون الإشارة الى الله (جل شأنه) والتنويه بصفاته القدسية، الأمر الذي يشير بصراحة إلى إيمان عميق برب الأرباب وتسليم لا يشوبه الشك بقدرته غير المتناهية على الفعل. يقول طرفة بن العبد ذاكراً الله العلي القدير الذي لا حكم سوى حكمه:

وتقولُ عاذلتي وليس لـــها بغـدٍ ولا ما بعـده علـمُ
إن الثراءَ هو الخلـود وان المرء يكـرب يومه العُدمُ
ولئن بنيت إلى المشقّر في هضَبٍ تقُصّر دونه العصم
لتُنقبَنْ عنّـي المنيـــة إ نَّ اللهَ ليس لحُكمهِ حُكـمُ [٩]

وحكم الله الذي لا يقف أمامه شيء ، ولا يحول دونه حائل يتبدى من خلال عطائه ومنحه الارزاق. فهو المعطي وهو المجزي ، فلم يصل إلينا ما يشير الى ان الجاهليين كانوا يسبغون هذه الصفات على غير الله فلا العزى ولا اللات ولا هبل ولا مناة ولا غيرها من الأصنام كانت توسم بهذه الصفات. وهذا يدل على وعي عال بالفرق بين من يعطي ويمنع ويحيي ويميت وبين الأصنام التي تتوسط بين المرء وبين الإله الأكبر لعدم الأهلية للصلة المباشرة معه–على حسب اعتقادهم.

يقول النابغة الذبياني عن عطاء الله (جل جلاله) :

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الجود والاحلام غير عوازبِ[١٠]

ويقول ايضاً في معرض مديحه للنعمان بن المنذر ملك الحيرة مشيراً الى ان الله هو الملاذ الاخير للانسان وليس ثمة ملاذ آخر بعده:

حلفت، فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهبُ[١١]

ثم يضيف مشيراً الى ان الله قد اعطى النعمان، وليس اله غيره يعطي:

الم تر ان الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذبُ[١٢]

وحاتم الطائي كان يؤمن هو ايضاً بان الأرزاق من الله ، ويبدو أن هذه الفكرة كانت متداولة بين العرب بتأثير الحنيفية ، يقول:

فلا تلتمس رزقاً بعيش مقتر لكل غـد رزق يعـود جديد

الم تر ان الرزق غاد ورائح وان الذي اعطاك سوف يعيدُ[١٣]

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة اشار الله فيها الى ان معظم الكفاركانوا يؤمنون بالله وقدرته وسطوته وانه خالق كل شيء، يقول عز من قائل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[١٤] .

وفي سورة أخرى سؤال آخر موجه للمشركين ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[١٥].

ومثلما كان الإيمان بالله موجوداً –وان شابه الشرك وثلمه وقوض معانيه الركون الى احجار اتخذها اصحابها واسطة بينهم وبين الله– فان الايمان بعالم ما بعد الموت كان موجوداً ايضاً، ولكن بحدود ضيقة، فقد اشار الشعراء الجاهليون في مواضع من اشعارهم الى فكـرة الايمان بيوم الحساب وعالم ثانٍ يحيا فيه الانسان وينشر فيه الناس بعد موتهم ويسألون عمـا اقترفت ايديهم وما جنت انفسهم، يقول طرفة بن العبد في اشارة واضحة الـى ايمانـه بـان الانسان مسؤول عن اعماله محاسب على سيئاته:

فكيف يرجي المرء دهراً مخلداً وأعماله عما قليل تحاسبه[١٦]

ومثلما آمن طرفة بالحساب واليوم الآخر آمن حاتم الطائي بان الله قادر على ان يحيي العظام وهي رميم وينشر الموتى للحساب يقول:

اما والذي لا يعلم الغيـب غيـره ويحيي العظام البيض وهي رميمُ

لقد كنت اطوي البطن والزاد يُشتهى مخافـة يومـاً ان يُقـال لئيـمُ[١٧]

ويقول زهير ابن ابي سلمى في السياق ذاته:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكـم ليخفى ومهما يُكتم اللهُ يُعلَـمِ

يؤخَّر فيوضَع في كتاب فيدّخَر ليوم الحساب او يُعجَّل فُينقَمِ[١٨]

وكان للجاهليين بعض المعتقدات التي تدل على ايمان باليوم الآخر. ومن ذلك ما يفعلونه حين يموت الرجل منهم حيث يعمدون الى راحلته التي ركبها، فيوقفونها على قبره معكوسة رأسها الى يدها، ملفوفة الرأس في وليتها، فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت ليركبها

اذا خرج من قبره. وكانوا يقولون ان لم يفعل هذا، حشر يوم القيامة على رجله وكانت تلك الناقة التي يفعل بها هذا تسمى (البلية) .

وقال ابو زبيد الطائي ، وذكر نساء مسلبات في مأتم فشبههن بالبلايا:

كالبلايا رؤوسها في الولايا ما نحات السموم حر الخدود[١٩]

وقال عمرو بن زيد يوصي ابنه:

ابني زودني اذا فارقتنـــــي في القبــر، راحلة برحل قاترِ
للبعث اركبها اذا قيل اظعنوا مستوسقين معا لحشر الحاشرِ
من لا يوافيـــــه علىعيرانةٍ والخلق بين مدفــع او عاثــرِ [٢٠]

وكانوا يسمون الطريق الذي يقطعونه وصولاً الى المستقر الأُخروي (الهار) ويعتقدون انه وادٍ سحيق طويل يزدحم فيه الناس ويتدافعون. يقول جريبة بن اشيم الفقعسي يوصي ابنه ايضاً ليعد له بلية صالحة تعينه على عبور الهار:

يا سعد اما اهلكــن فاننـــي اوصيك ان اخا الوصاة الاقــربُ
لا تتركن اباك يعثــر راجــلاً في الحشر يصرع لليدين وينكبُ
واحمل اباك على بعيرٍ صالحٍ وتق الخطيئـــة ان ذلك اصـــوبُ
ولعل لي مما جمعــت مطية في الهار اركبها اذا قيل اركبوا [٢١]

ولهذه الاسطورة الدالة على الايمان باليوم الآخر وبحياة ثانية نظائر في ميثولوجيا العراقيين القدامى ومن بعدهم المصريين والاغريق، فأمر الفراعنة اشهر من ان يغيب عن احد، اذ تمثل الاهرامات بما تضمه من مومياء الفرعون وحوائجه وكنوزه وخدمه خير معبر عن الايمان بعالم ثانٍ ينشر فيه الملك فيجد كل ما يحتاج اليه.

ومع وجود دلائل على تأثر العرب الجاهليين بالاقوام المجاورة لهم ولاسيما الساميين الا اننا لا نملك جواباً قاطعاً عن الكيفية التي تصور فيها ((أولئك الجاهليون حدوث البعث والحشر، هل هو قصاص وثواب، وعقاب وحساب، وجنة ونار، او هو بعث وحشر لا غير، فاهل الاخبار لم يأتوا عنه بجواب، ولم يذكروا رأي تلك الفئة المقرة بالبعث والحشر في ذلك. ولهذا فليس في استطاعتنا اعطاء صورة واضحة عن الحشر وعما يحدث بعده من تطورت وامور)) [٢٢]على حسب معتقد الجاهليين.

وعلى الرغم من هذه الإشارات الدالة على ايمان فئة من الجاهليين باليوم الآخر فان ما ورد في القرآن الكريم يشير بوضوح الى ان الاكثرية الغالبة من اهل الجاهلية لم يكونوا يؤمنون الا بالحياة الدنيا، ومن هؤلاء مشركو قريش الذين جادلوا الرسول ﷺ في اليوم الآخر

واستهزؤا به حين اعلمهم انهم مبعوثون ليوم لا ريب فيه يحاسبون على اعمالهم. يقول الله ﷻ حكاية عن المشركين : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾[٢٣].

بل ان الايمان باليوم الآخر جوبه باشد انواع الجحود والمعارضة، وكان علامة مميزة للامم الكافرة. فكم من امة سلفت جاءها رسول من رسل الله يدعوهم الى الوحدانية والى الايمان بعالم الغيب والتسليم باليوم الآخر كفرت وأصمت اذانها عن سماع الحق. يذكر الله ﷻ في محكم كتابة حكاية امة من تلك الأمم ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾[٢٤] .

اما الايمان بعالم الجن في الجاهلية فهو ايمان لا لبس فيه، فالامثلة على ذلك لا تحصى ولا تعد، بل ان الامر وصل بالعرب ــ بحسب بعض هذه الاخبار ــ الى الاعتقاد بان الجن تقول الشعر، وتتقاتل فيما بينها وتقتل الرجال مثلما قتلت سعد بن عبادة، وسمع الناس هاتفاً يقول:

قد قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عبادة
ورميناه بسهميــنِ فلم نُخطِ فــؤاده[٢٥]

ورأت العرب أن البيت المشهور:

وقبر حرب في مكان قفر وليس قرب قبر حرب قبرُ[٢٦]

قد قالته الجن بالنظر لقرب مخارج حروفه وعدم القدرة على النطق به ثلاثاً ووضعت له خرافة زعمت فيها ان هذا البيت مما قالته الجن بعد قتلها لحرب بن امية. ومما نسجوه ايضاً قولهم ان ان الجن قتلت مرداس بن ابي عامر السُلمي واستهوت طالب بن ابي طالب وغيبته بعد خروجه مع قريش لقتال المسلمين في معركة بدر. وزعموا ايضاً ان الجنيات قد يتزوجن من انسيين وما شابه ذلك من اخبار يعد معظمها من نسج الخيالات الساذجة ومن صنع المخيلة الشعبية الخصبة، المهم في هذا كله الانتهاء الى نتيجة مفادها: ان من يؤمن بوجود الجن لابد ان يكون عقله ومخيلته ووعيه على استعداد للايمان بغيبيات اخرى.

اما اخبار الامم السالفة فليس من الصواب الاعتقاد بان العرب لم يكونوا على دراية بجوانب منها، بل انهم بشكل او بآخر كانوا يعرفون نتفاً من تلك الاخبار ويلمون بانباء عن غضب الهي حل بامم جاورتهم وكان كفرها مدعاة لارسال حاصب من السماء او صاعقة او امطارهم بحجارة من نار او غيرها من الوان العذاب، واشارة الشعراء الجاهليين الى الامم السالفة كثيرة مطردة، فها هو طرفة بن العبد يضمن شعره اخبار لقمان بن عاد وذي القرنين فيقول:

الم تر لقمـــان بن عـــــاد تتابعـــت عليه النسور، ثم غابت كواكبه
وللصعب اسبـــاب يحـــل خطوبـــها اقـــام زماناً، ثم غابت مطالبه
اذا الصعب ذو القرنين ارخى لواءه الى مالك ساماه، قامت نوادبه
يسير بوجه الحتف والعيش جمعـــه وتمضي على وجه البلاد كتائبه[٢٧]

ويقول ايضاً مشيراً الى نبي الله داود

وهم ما هم، اذا ما لبسوا نسج داود لباس محتضر[٢٨]

وعلى المنوال ذاته يتطرق النابغة الى بعض ما اصاب الامم السالفة من هلاك هو حق مكتوب على بني البشر:

ولقد رأى ان الذي هو غالهم قد غال حمير قيلها الصباحا
والتبعين، وذا نواس غـــدوة وعلا اذينة سالب الارواحا[٢٩]

وذو نواس الذي عناه النابغة هو ملك اليمن وقصته مع اهل نجران معروفة اذ يُذكر ان ذا نواس هذا كان على دين اليهودية واراد ان يرغم نصارى نجران على ان ينسلخوا من دينهم ويتهودوا ((فسار اليهم ذو نواس بجنوده من حمير وقبائل اليمن، فجمعهم ثم دعاهم الى دين اليهودية، فخيرهم بين القتل والدخول فيها، فاختاروا القتل، فخد لهم الاخدود، فحرق بالنار، وقتل بالسيف ومثل بهم كل مثلة، حتى قتل منهم قريباً من عشرين الفاً)) [٣٠]. وقد اشار القرآن الى قصة اصحاب الاخدود ، اذ يقول جل شأنه : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[٣١].

اما قصة عاد التي ذكرها القرآن الكريم فانها كانت معروفة بشكل او بآخر للجاهليين لكن ليس بتفصيلاتها القرآنية التي غابت عنهم وأراد الله ان يبرهن من خلالها ومن خلال قصص اخرى لم يسمعوا بها على نبوة الرسول ﷺ ودليلاً على ان ما جاء به الرسول ﷺ ليس من عنده، بل هو وحي يوحى اليه من الله جل شأنه يقول طرفة مشيراً الى عاد وما أصابهم:

ولقد بدا لي انه سيغولني ما غال عاداً والقرون فاشعبوا[٣٢]

((ومن الاخبار الاخرى التي تناولها الشعراء الجاهليون قصة الحضر وهي مدينة في العراق بين دجلة والفرات بحيال تكريت وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطرون وهو الذي يقول فيه ابو دواد الايادي:

وارى الموت قد تدلى من الحضـــ ر على رب اهله الساطرون

والعرب تسمية الضيزن وقد ذكره الاعشى في شعره ايضاً اذ يقول:

الم تر للحضر اذ اهله بنعمى وهل خالداً من نعم[٣٣]

وقال فيه عدي بن زيد العبادي:

واخو الحضر اذ بناه واذ دجـــ لة تجبى اليـــه والخابورُ

شـــاده مرمـــرا وجللـــه كلـــ سا فللطير في ذراه وكورُ

لم يهبه ريب المنون بناد الـــ مُلك منه فبابه مهجـــورُ[٣٤]))[٣٥]

وقد اخبر الله سبحانه وتعالى المشركين من خلال القرآن الكريم بقصص الامم الاسلفة وما حل بهم جزاء كفرهم وعصيانهم، وحثهم على تجنب ما يمكن ان يحيق بهم وخاصة انهم كانوا يعرفون ديار هذه الأقوام ويمرون عليها ويشاهدون آيات الله عياناً . يقول جل شأنه عن قوم لوط وخرائبهم : ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٣٦].

وربما لهذا السبب كان من أمر العرب انهم اذا ما أمطرتهم السماء بماء غزير يطول هطوله وتصحبه الرعود والبروق يلجؤون الى كهوف الجبال وشعابها ويصطحبون معهم القيان فيسكرون على صخب الموسيقى والطبول محاولة منهم التغطية على صوت الرعد كانهم بذلك يحاولون دفن خوفهم من عذاب الله وتناسيه ، لانهم كانوا يستحضرون ما تراكم في عقلهم الباطن من خوف تأتى لهم مما يعرفونه عن الامم الضالة التي اصبحت اثراً بعد عين كقوم صالح او قوم هود او قوم شعيب وغيرهم من الذين سكنوا في الجوار فضلاً عن احساسهم بانهم على الضلالة وان ما هم عليه لا يمثل حقيقة ديانة ابراهيم عليه السلام وانما هي نتف من مفردات دينه دخلتها شوائب وخرافات كثيرة اخرجتهم من هذا الدين واعادتهم الى الشرك الذي جاء سيدنا ابراهيم من اجل نبذه ومحاربته.

يقول طرفة عن يوم الدجن وكيف يحاول تقصيره –أي عدم الاحساس بطوله نتيجة الرعب– بالشرب ومصاحبة الحسناوات:

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الطراف المعمد[٣٧]

يقول الله ﷻ واصفاً حال المشركين في رعبهم من البروق والرعود : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٣٨).

وتعد الحنيفية التي كانت معروفة الى حد ما في الجزيرة العربية اكثر المعتقدات مساساً بالاسلام واشدها اقتراباً منه. فكانت فئة من العرب تتحنف وترفض عبادة الأصنام وتلتمس دين الحنيفية وهو دين ابراهيم الخليل عليه السلام . يقول الله ﷻ واصفاً ابراهيم عليه السلام : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٣٩) .

ولان إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولان هاتين الديانتين دخلتهما شوائب كثيرة فان هذه الفئة المتحنفة لم تر فيهما مبتغاها ولم تطمئن نفوسها الى معتقدهما في الله ، وبالتالي فقد ظلت تلتمس دين الحنيفية التي كان عليه إبراهيم .

ومن هؤلاء الأحناف عثمان بن الحويرث ، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل الذي ((اعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الاوثان ونهى عن الموؤدة . وقال: اعبد رب الخضراء. وبادئ قومه بعيب ما هم عليه وكان يقول: اللهم لو اعلم أي الوجوه احب اليك سجدت اليه، ولكني لا اعلمه ثم يسجد على راحته. وكان زيد اول من عاب على قريش ما هم عليه من عبادة الاوثان. ثم خرج يلتمس دين ابراهيم عليه السلام فجال ارض الشام حتى اتى البلقاء فقال له راهب بها عالم: قد اظلك زمان نبي يخرج في بلادك يدعو الى دين ابراهيم. فاقبل بسبب قول الراهب مسرعاً يريد مكة. فلما توسط ارض جذام عدوا عليه فقتلوه)) (٤٠) . ومن الاحناف المشهورين امية بن ابي الصلت الثقفي الذي ((يذكرون عنه انه بعد ان صبأ عن قومه وتحنف، لبس المسوح على زي المترهبين في هذه الدنيا ورافق الكتب ونظر فيها، ليستلهم منها العلم والحكمة والرأي الصحيح، ثم حرم الخمر على نفسه مثل بقية المتألهين ، وتجنب الاصنام وصام، والتمس الدين وذكر ابراهيم واسماعيل))(٤١). ومن اشعاره في الحنيفية:

كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفية زورُ(٤٢)

ويروى ان الرسول ﷺ كان معجباً بشعر امية وكان حريصاً على سماعه ومن ذلك ما رواه الشريد ابن سويد الثقفي اذ قال : ((أنشدت رسول الله ﷺ مائة قافية من شعر امية بن ابي الصلت. يقول بين كل قافية (هيه) وقال : (كاد ان يسلم))) (٤٣).

فضلاً عما تقدم فان الجاهليين لم يبدو استغرابهم من انسية الرسول محمد ﷺ ولم يستنكروا ان يكون نبياً يمشي في الاسواق ويأكل الطعام الا من باب الجدل المحض الذي لا يراد منه

الوصول الى الحقيقة بقدر ما يراد به الجحود وصم الآذان ، وقسوة القلب ولم يكن سوى امرٍ مفتعلٍ لا يعبر عن رأي مستقر في وعيهم. يقول ﷻ حكاية عن المشركين : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾(٤٤).

فاذا كان استغرابهم واستهجانهم صحيحين فاين هم من اليهود الذين جاوروهم وسمعوا منهم اخبار التوراة ونبي الله موسى عليه السلام ؟ واين هم من الاحناف الذين حدثوهم عن دين ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام) ؟ واين هم من اخبار الانبياء الآخرين؟ افلم يعلموا انهم جميعاً من البشر، يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق، ويتزوجون وينجبون، ويعملون ويسعون في الارض؟

ولم تقتصر المقتربات العقائدية بين الجاهلية والاسلام على الكليات فقط، بل تعدتها الى جزئيات كثيرة تمثل نواهي حث الاسلام العباد على اجتنابها مثل اكل الدم ولحم الخنزير وشرب الخمر، فكان من الجاهليين من حرم على نفسه شرب الخمر لما كان يرى فيها من وسيلة تخرج المرء من وقاره وتحط من قدره ومنزلته ومن ذلك ما يروى عن قيس بن عاصم المنقري انه سكر فغمز عكنة ابنته، فلما اخبر بذلك حرمها وقال في ذلك:

رأيت الخمر مصلحة وفيها خصال تفسد الرجل الكريما
فلا، والله، اشربها حياتـــي ولا ادعو لها ابدا نديمـــــاً
فان الخمر تفضح شاربيها وتجنيهم بها الامر العظيما
اذا دارت حميـــاها تعلـــت طوالع تسفه المرء الحليما

ومن الجاهليين من حرم على نفسه القداح والميسر، ومن هؤلاء عفيف بن معد يكرب الكندي وبهذا سمي (عفيفاً) وكان اسمه شراحيل اذ قال:

قالت لي: هلم الى التصابي فقلت: عففـــت عما تعلمينا
وودعت القداح وقد ارانـــي بها في الدهر مشغوفاً رهينا

وقال الاسلوم اليامي وكان ممن حرم الزنا والخمر في الجاهلية:

سالمت قومي بعد طول مظاظة والسلم ابقى في الامور واعرفُ
وتركت شرب الراح وهي اثيرة والمومسات، وترك ذلك اشـــرفُ
وعففت عنه يا اميم تكرمـــــاً وكذاك يفعل ذو الحجى المتعففُ(٤٥)

ومن الجاهليين من اتى فعلاً وافق حكم الاسلام، ومن ذلك توريث البنات فقد كانت العرب مصفقة على توريث البنين دون البنات. فورث ذو المجاسد وهو عامر بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر ماله لولده في الجاهلية للذكر مثل حظ الانثيين. فوافق حكم الاسلام(٤٦).

بل ان الظلم الذي كان سمة ملاصقة للجاهلية لم يكن فعلاً اصيلاً عند اصحاب الشرف والرفعة من العرب، فقد انف معظم العرب من ان يأتوه، وترفعوا عن سلب حقوق الغير والتعدي على حرمات الناس، ولهذا فقد اقترن الظلم بالسفلة والسوقة دون الاشراف والسادة وكرام الناس. وليس ادل على مقت الاشراف والحريصين على السؤدد للظلم وسلب الحقوق من الحلف الذي تداعت اليه قريش واجتمعت " في دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه، وكانوا بني هاشم، وبني المطلب، وبني اسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة فتحالفوا وتعاقدوا ان لا يجدوا بمكة مظلوماً من اهلها او من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وشهده رسول الله ﷺ فقال حين ارسله الله تعالى: لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما احب ان لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الاسلام لاجبت "[٤٧].

وعلى الرغم مما اثبتناه في بحثنا هذا وما اشرنا اليه من مقتربات عقيدية بين الاسلام والجاهلية ووشائج ثقافية واجتماعية ونفسية وصلت بينهما فان ذلك لا يعني باي حال من الاحوال ان مرحلة الجاهلية لم تكن مرحلة قلقة مضطربة وفترة ارهاص لتغيير كبير وجديد ولا تعني هذه المقتربات وتلك الوشائج ان الاسلام كان امتداداً لفكرة منتشرة بين الناس عمل النبي على اظهارها وتوكيدها كما قد يزعم من ينكر فضل الرسول ﷺ وقدسية الوحي ولكن الاسلام كان استجابة لضرورة قائمة جاءت في حينها الموقوت من لدن رحيم عليم كتب على رسوله ان يبشر وينذر ويتحمل بصبر وجلد ضروباً من الارهاق واللجاجة والاذى. لقد شاءت ارادة الله ان يكون الاسلام الخلاصة النقية التي تبلورت فيها كل آمال هذه الامة وتمثلت فيها مطالبها النفسية، ومثلها العليا[٤٨].

فضلاً عن ذلك فان تلك المقتربات ظلت منقوصة، وقاصرة عن اداء مهمتها بالشكل المطلوب حتى جاء الاسلام ووضعها في اطارها وسياقها الصحيحين ولعل نقصانها وقصورها يعودان الى سببين رئيسين:

اولهما: ان تلك المقتربات لم ينتظمها سياق واحد يمكن ان نستدل منه على وعي جماعي باهميتها وارادة مشتركة لتمثلها، فقلما كان العربي يمارس طقوسه ويعيش حياته مستلهماً تلك المقتربان بالكامل، بل ان الدارس يمكنه ان يخلص بسهولة الى ان تلك المقتربات التي وضعنا اليد عليها كانت خلاصة بحثية ونتاجاً لفحص ونظر متمعنين لفترة الجاهلية بأكملها، انها نتف متناثرة موزعة بين هذا الشخص او ذاك، وهذه القبيلة او تلك، فحين تنتدب قريش الى دفع الظلم عن المقهورين كانت في الان ذاته تئد البنات وتمارس الزنا، وكان العربي الذي يأنف من شرب الخمر، يأكل اموال الايتام او يمنع ارثه عن البنات ويستأثر

بالحقوق والحال نفسه مع من يدعو الى السلم وينبذ التناحر ويستقسم بالازلام ويرابي في وقت واحد. وبطبيعة الحال فان الاسلام لم يدعُ الى مكرمة وينبذ اختها، بل انه بعقيدته السمحاء كان منظومة متكاملة لا يعتريها الوهن ولا يخترمها النقصان، فقد دعا الى مكارم الاخلاق كلها بما تستحيل معه تلك المكارم الى دين جمعي ملزم قبل ان تكون نزعة اجتماعية وثقافية ونفسية يلتزمها البعض ويدعها البعض الآخر، او ينتقي منها الشخص ما يلامس نفسه ويدع منها ما لا يراه مناسباً .

ثانيهما: ان تلك المقتربات قد افرغت من محتواها يوم اقترنت بعبادة الاصنام ويوم مارسها من يشرك بالله ويتخذ له انداداً.

ان الاسلام جاء بعدة محظورات لا يمكن الاقتراب منها او تخطي حدودها اولها التوحيد وعدم الاشراك وما يستتبعه من خلوص العمل لوجه الله تعالى . فلا قيمة لعمل مهما كان محموداً ومهما كان متطابقاً مع حكم الاسلام طالما اقترن في ذات المرء العامل وفي عقله بالشرك، لان العمل حين لا يراد به وجه الله يتحول سعياً الى مجد شخصي ومكانة دنيوية، قد لا يحرمها الجاهلي ولكنها ستكون في المحصلة النهائية حظه الذي لا حظ له غيره وهو في الآخرة من الخاسرين. فالمشرك لا ينفعه الخير لان الخير الذي ابتغاه كان لمجد او لعصبية او لسؤدد ومن ذلك ما قالته عائشة لرسول الله ﷺ : (ان عبد الله بن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: لا لانه لم يقل يوماً: ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[٤٩].

وكان عبد الله بن جدعان من اجواد قريش وقد حجر رهطه عليه لما اسن (فكان اذا اعطى احداً شيئاً رجعوا على المعطى فاخذوه منه فكان اذا سأل سائل قال: كن مني قريباً اذا جلست فاني سألطمك. فلا ترضى الا بان تلطمني بلطمتك او تفتدي لطمتك بفداء رغيب ترضاه. وله يقول ابن قيس الرقيات:

والذي ان اشار نحوك لطماً تبع اللطم نائلٌ وعطاءُ[٥٠]

وذكروا ان امية بن ابي الصلت دخل على عبد الله وعنده قينتان له، فلما رآهما قال: انعم صباحاً، ابا زهير ثم انشأ يقول:

أأذكر حاجتي ام قد كفانـــي حياؤك؟ ان شيمتك الحيـــاءُ
خليل: لا يغيـــره صبـــــاح عن الخلق الجميل ولا مساءُ
وارضك كل مكرمـــة بناهـــا بنو تيم وانت لها سمـــــاءُ
اذا أثنى عليك المرء يومـــاً كفاه من تعرضـــــه الثنـــاءُ
تباري الريح مكرمة ومجداً اذا ما الكلب اجحره الشتـــاءُ

فقال له: (خذ بيد ايهما شئت) . فأخذ احداهما ثم خرج على مجالس قريش فقالوا له: يا امية اتيت شيخنا وسيدنا، وعنده جاريتان له تلهيانه فسلبته احداهما فتذمم امية من ذلك، فرجع فلما رآه عبد الله قال له: اكفف حتى اخبرك مالذي ردك، جزت على قريش فقالوا لك كذا وكذا، أنا اعاهد الله لتأخذن الاخرى فان احداهما لا تصلح الا بالاخرى فاخذهما وخرج وهو يقول:

عطاؤك زين لامريء ان حبوته بفضل وما كل العطاء يزيــنُ

وليس بشين لامريء بذل وجهه اليك كما بعض السؤال يشينُ[٥١]) [٥٢]

وكان مما جادل مشركو قريش رسول الله ﷺ به انهم قالوا : نحن اهل الحرم وسدنة بيت الله وحجابه، يتطاولون بذلك على الناس ، ويدّعون منزلة متميزة عند الله . فانزل الله ﷻ آيات تبين لقريش ان سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام لا تعفي المرء من ان يوحد الله ولا يشرك به شيئاً ، الامر الذي يدل على ان المشرك لا ينفعه عمله ولو كان عملاً كريماً . يخاطب ﷻ قريش قائلاً :﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥٣] .

عرض أسرى هوازن على رسول الله ﷺ بعد ان قفل من حنين وكانت سفانة ابنة حاتم الطائي من جملة من عرض عليه، وبعد ان استشفعت عند رسول الله ﷺ بفعل ابيها قال رسول الله ﷺ منوها بتلك الفعال ومشيداً بكرم الرجل ان اباها كان يحب مكارم الاخلاق ، وحين سئل من بعض جلسائه، ان كان يحب مكارم الاخلاق فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فاجاب عليه الصلاة والسلام : انه كان يبغي امراً وادركه. في اشارة الى ان حاتم الطائي كان يطلب بفعاله الكريمة تلك مجداً دنيوياً وصيتاً ذائعاً بين العرب وكان له ما اراد اما الآخرة فلها شأن آخر، فكم من سيد طار ذكره في بلاد العرب كلها يكون يوم القيامة من الخاملين ، وما ذاك الا لانه اشرك بالله وتقرب اليه بالاصنام .

فهل ثمة امكانية للتوفيق بين الموقفين: الموقف الذي تقترب فيه العقائد الجاهلية من الاسلام وخاصة اذا كانت نتاجاً لايحاءات يكتنفها الغموض من الحنيفية، والموقف الذي يترتب على ذلك الغموض الذي اكتنف ايحاءات الحنيفية وادى بها الى الخروج عن المسار الصحيح والوقوع في هوة سحيقة من الخطايا يمثل الشرك اعلى سلمها.

يبدو ان الاسلام كان حاداً وصارماً ازاء عقد مثل هذه المقاربة، ولعل الشرك الذي وقع فيه الجاهليون كان القشةالتي قصمت ظهر البعير واستبعدت مثل هذه المحاولات المهمة في علم الاديان. وكانت تلك الصرامة من الشدة بحيث ان الباحثين لم يجرأوا على محاولة تلمس تلك المقتربات العقائدية التي نرى انها كانت اساساً انطلق منها العربي الجاهلي في

تعامله مع الدين الجديد، وكانت حافزاً مهماً وحقيقياً للايمان الفوري للبعض منهم، مما يدلل على ان العرب كانوا مهيئين للاسلام وكانت ارهاصات التغيير التي مثلها الاسلام قد بدأت بالتبلور منذ امد طويل سبق ولادة الرسول ﷺ نفسه.

كانت الجاهلية الثانية التي سبقت الاسلام بمائة الى مائة وخمسين سنة على تقدير معظم الباحثين حبلى بوليد طال انتظاره ، وعرف العرب ان اوانه قد ازف ، وانه سيخرج في أرضهم يحمل بشارة المسيح ومن قبله موسى عليه السلام .

ومع فهمنا لهذه الإرهاصات وللنفس العربية المجبولة على الخير وللشائع من بقايا ديانة ابراهيم عليه السلام وللأعراف الاجتماعية الراقية نخلص الى ان المعادلة التوفيقية والتقريبية بين فترة الجاهلية وبين الإسلام جائزة وموضوعية.

ولكن واقع الحال يوحي بان تلك المقاربة ان صحت مع فئة المؤمنين الأوائل فانها لا تصح مع قريش ومعظم العرب الذين وقفوا موقفاً مضاداً من الإسلام ، هذا الموقف بدا فيه الإسلام بالنسبة لهؤلاء منبتاً عما سبقه، على العكس من موقف المؤمنين الأوائل الذين مثل لهم الإسلام حدثاً كانوا يتوقعونه وينتظرونه بلهفة وحبور ، ونسأل : لماذا وقفت قريش ضد الإسلام ؟

بقدر ما كان موقف قريش من الاسلام مصيرياً فانه اتسم بخصوصية شديدة ايضاً، ولا يبدو ان الخصوصية التي اتسم بها موقف قريش جاءته من مؤثرات فكرية او عقيدية مضادة للاسلام بقدر ما جاءته من مؤثرات وعوامل اخرى لان قريش لم تكن مختلفة عن بقية العرب بالقدر الذي يمكن ان يتبلور لديها موقفٌ عقيديٌ خاصٌ.

يبدو ان ثمة عاملين كان لهما التأثير الاعمق في عناد قريش وتكبرها واصرارها على الكفر:

<u>أولهما</u>: عامل الأنفة والاعتزاز بتراث الآباء والأجداد ، وهو امر لا يقتصر على قريش وحدها بل يتعداها الى معظم القبائل العربية، فقد اصر المشركون على البقاء على ديانة ابائهم وأجدادهم ورفض الاسلام الذي رأوا فيه امراً محدثاً سيخرجهم مما اعتادوا عليه واستقر في نفوسهم وعقولهم الى ما ليس لهم به علم.

لقد كان من الطبيعي ان يرى الجاهليون في الاسلام ثورة كبرى على تقاليدهم وموروثاتهم التي يقدسونها ويحافظون عليها، فضلاً عن ان الاسلام سفه دين ابائهم وحث على نبذ ما كانوا عليه، والعربي عامة والبدوي خاصة لا يقنع بضلال ابيه واجداده بسهولة ويسر، يقول الله (جل جلاله) في هذا الشأن : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا**

عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٥٤] .

وليس ادل على هذه الانفة وذاك الاعتزاز بتراث الاباء من اصرار ابي طالب عم الرسول ﷺ على البقاء على دين عبد المطلب وشيوخ قريش على الرغم من انه كان من اشد المناصرين لرسول الله ﷺ وكان اول من منع عنه اذى قريش، حتى قال كتاب السيرة ان قريش لم تتمكن من الوصول الى رسول الله ﷺ او تمسه بسوء حتى توفي ابو طالب.

يروى انه حين بعث الرسول ﷺ ودعا بدعوة الاسلام وفشا امره في قريش ساله عمه ابو طالب: ((ما هذا الدين الذي اراك تدين به ؟ قال: أي عم هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين ابينا ابراهيم بعثني الله به رسولاً الى العباد وانت أي عم، احق من بذلت له النصيحة، ودعوته الى الهدى، واحق من اجابني اليه واعانني عليه، فقال ابو طالب: أي ابن اخي، اني لا استطيع ان افارق دين ابائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص اليك بشيء تكرهه ما بقيت)) [٥٥] .

هذا الاعتزاز بدين الاجداد هو وحده الذي يقف حائلاً بين الرجل والاسلام اذ لا يدل موقفه على قناعة راسخة بخطل حكم الاسلام، ولا يعبر عن ايمان ثابت بصحة دين الجاهلية، وانما تؤدي العصبية وحدها دوراً في اصرار ابي طالب على ما هو عليه بوصفه امتداداً لسيرة ابائه واجداده، اذ يروي ابن هشام ان ابا جهل وعبد الله بن ابي امية كانا حاضرين حين دعا الرسول ﷺ عمه الى الاسلام فوثبا عليه يسألانه باستهجان ويردانه عما ظنا انه عزم عليه من الاسلام: اترغب عن ملة عبد المطلب، فقال: انا على ملة عبد المطلب[٥٦].

ان ابا طالب يمتنع عن الايمان بدين يبدو انه كان يعلم علم اليقين انه الحق لانه يخاف السبة على الرسول ﷺ وبني هاشم، ويأنف ان تقول عنه قريش انه آمن جزعاً من الموت الذي يقترب منه، فحين دعاه الرسول ﷺ وحين رأى حرص الرسول ﷺ قال:((يا ابن اخي والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني ابيك من بعدي وان تظن قريش اني قلتها جزعاً من الموت لقلتها لا اقولها الا لاسرك بها)) [٥٧].

<u>وثانيهما</u>: العامل الاقتصادي:

فاذا كان العامل الاول مشتركاً بين القرشيين والقبائل العربية الاخرى ويعبر عن النزعة العقلية والروح البدوية اللتين انماز بهما العربي بعامة، فان العامل الاقتصادي الذي يشكل دعامة اساسية اخرى من دعامات الشرك ودافعاً آخر من دوافعه كان مقتصراً على قريش وحدها، فقد كان القرشيون سدنة البيت وحجابه وحفظة اصنام العرب، اذ كان في الحرم ثلاثمائة وستون صنماً بقدر عدد القبائل العربية وكان العرب يحجون اليها ويطوفون بالبيت

ويتاجرون، يبيعون ويشترون وكان موسم الحج سوقاً تدر على اثرياء قريش الاموال الطائلة ولهذا فان الدين عند قريش لم ينفصم عن التجارة، بل كان للدين عندهم وجه اقتصادي واضح. وكان لوجود الكعبة في مكة الدور الفاعل في تلك المكانة المرموقة التي تميزت بها قريش من بين القبائل العربية قاطبة فعقدت الايلاف مع القبائل التي تمر تجارتها في اراضيها متجهة الى الشام صيفاً والى اليمن شتاءً.

لقد كان الاسلام بالنسبة للقرشيين ثورة اقضت مضاجعهم وقوضت دعائم تجارتهم وزعزعت نظامهم الاجتماعي القائم على الطبقية وعلى استغلال الاثرياء للفقراء والعبيد لما ينشده من عدالة اجتماعية ولما يدعو اليه من ردم للهوة بين الاثرياء والفقراء والغاء نظام العبودية الامر الذي من شأنه الغاء امتياز قريش من بقية القبائل وامتياز السادة من العبيد وكان خوف قريش من الاسلام يتأتى ايضاً من دعوته الى الوحدانية ونبذ عبادة الاصنام والدعوة الى المباشرة بين العبد وربه على اساس ان الله موجود في كل مكان يرى ولا يُرى يسمع الدعاء ويجيب دعوة الملهوف والمظلوم وهذا ما سيؤدي حتماً الى انتفاء الحاجة الى عبادة الاصنام الموجوده في مكة وانتفاء صفتها كواسطة بين العبد وربه، فاذا كان الله في كل مكان فما حاجة العربي للذهاب الى مكة لاتخاذ صنمه واسطة بينه وبين الله وهكذا ستضمحل اهمية مكة كموئل للاصنام وكقلعة للدين، ويتراجع دورها الاقتصادي ايضاً وهذا ما لم يرده سادة قريش واثرياؤها.

ان جبروت قريش وخيلاءها لم يكن يحد من غلوائهما سوى المصالح الاقتصادية فكم من مرة انتفضت قريش بقضها وقضيضها للدفاع عن تلك المصالح بينما كانت تقدم رجلاً وتؤخر اخرى في مواقف تمس صميم عقيدتها لا لشيء الا لان احجامها في مثل هذه المواقف كان ضرورياً للحفاظ على امتيازاتها وتجارتها.

فلم تفكر قريش ان تغزو الرسول ﷺ في مدينته حتى بعدما اصبح يمثل خطراً على دينها واصبح له اتباع في القبائل العربية كلها، ولكنها بمجرد ان هدد المسلمون تجارتها الى الشام تداعت لانقاذ اموالها، وهبت بشبابها وشيبها مسرعة الى الحرب وعندما انقذ ابو سفيان عير قريش آثر بعض السادة العودة بعد ان زالت مبررات النفير.

والشواهد على ما تمثله المصالح الاقتصادية من اهمية قصوى لقريش كثيرة متعددة منها ما يروى عن ابي ذر الغفاري الصحابي الجليل اذ بعد ان اسلم مبكراً في وقت كانت فيه الدعوة سرية قال له الرسول ﷺ : (ارجع الى قومك فاخبرهم حتى يأتيك امري فقال والذي نفسي بيده لاصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى اتى المسجد فنادى بأعلى صوته اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وثار القوم فضربوه حتى اضجعوه فأتى العباس فاكب عليه فقال: ويلكم الستم تعلمون انه من غفار وانها طريق تجارتكم الى الشام وانقذه منهم)[٥٨].

ان الانفة من استضعاف الغريب والاستعلاء عن التكالب على من لا نصير له لم يمنعا قريش من الانقضاض على ابي ذر وضربه ولكن انتساب الرجل الى غفار كان كفيلاً بانقاذه وكافياً لتبتلع قريش غيظها وحنقها على امريء تحدى كبرياءها واستفز جبروتها. فالمال قدس اقداس قريش، وكل ما سواه يحتل المرتبة الادنى حتى وان كان ذلك مقدساتها والهتها.

خلاصة القول: ان عناد قريش واصرارها على الكفر لم يكن ينم عن ايمان فكري راسخ بجدوى دين الشرك، ولم يكن يعبر عن قناعة بما يمارسونه من طقوس وعادات وتقاليد بقدر ما كان يقف وراءه هذان الدافعان واعني دافع العصبية لتراث الاباء والدافع الاقتصادي، ولم تتمثل قبيلة هذين الدافعين مثلما تمثلتهما قريش، ولهذا فما ان فتحت مكة ودخلت قريش فيما دخل فيه الناس من الحق حتى تهافتت وفود القبائل على الرسول ﷺ تعلن اسلامها وايمانها بالدين الجديد.

لقد كانت القبائل تراقب موقف قريش من الدعوة الجديدة وتحاكي فعلها ازاء هذه الدعوة وتتمثله، ايماناً منها بان قريش اقدر العرب على اتخاذ الموقف الصحيح من هذا الدين باعتبارها القائمة على دينهم القديم وخدمة البيت العتيق، ولهذا فان ايمان قريش كان ايذاناً بايمان معظم القبائل وان كان الكثير من العرب لم يدخل الاسلام بداية عن ايمان راسخ اذ سرعان ما ارتدت معظم هذه القبائل بعد وفاة الرسول ﷺ فيما عرف تاريخياُ بحروب الردة التي قادها خليفة رسول الله ﷺ ابو بكر الصديق ﷺ ولهذا كله فقد اكد النبي ﷺ مكانة قريش ودورها في قيادة العرب اذ ورد عنه ﷺ انه قال: ((الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم))[٥٩] .

عندما توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب وتهيأت جيوش المسلمين لقتال اهل الردة تحلق عدد من الصحابة يتحادثون ((فلما دنا منهم عمر سكتوا، فقال: فيم انتم؟ فلم يجيبوه. فقال لهم: انكم تقولون: ما أخوفنا على قريش من العرب قالوا: صدقت، قال: فلا تخافوهم، انا والله منكم على العرب اخوف مني من العرب عليكم، والله لو تدخلون معاشر قريش جحراً لدخلته العرب في اثاركم فاتقوا الله فيهم))[٦٠]. يبرهن ما قاله عمر بن الخطاب ﷺ على سلطان قريش على العرب جميعاً، هذا السلطان الذي لم يتبد في شأن من شؤون الحياة مثلما تبدى في الدين والعقيدة يقول الرسول الاعظم ﷺ مبيناً هذا السلطان: ((الناس تبع لقريش في الخير والشر))[٦١] .

فقد اتبع العرب قريشاً يوم كفرت وساروا على آثارها يوم اسلمت. فكان فتح مكة فتح الفتوح بحق لانه كان نقطة الشروع في اندحار الشرك في كافة انحاء الجزيرة العربية، ومن اجل ذلك حث الله سبحانه وتعالى رسوله الامين ﷺ على ان يسبح بحمد ربه ويشكره على

نصره المبين الذي خلد الله ذكره في محكم كتابه فانزل فيه ايات بينات يقول ﷻ : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[٦٢].

هوامش قائمة المصادر والمراجع

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ــ د. جواد علي ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ الطبعة الأولى-١٩٧٠ــ ج٦، ص٤٥.

(٢) سورة الزمر الآية ٣.

(٣) المفصل ج٦، ص٤٤.

(٤) ينظر : شعر ذي الرمة ــ دراسة فنية ــ د. خالد ناجي السامرائي ــ رسالة دكتوراه ــ كلية الآداب ــ الجامعة المستنصرية-١٩٩٧ ، ص٣٧-٣٩.

(٥) ادونيس ــ جيمس فريزر ــ ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ــ دار الصراع الفكري ــ بيروت -١٩٥٧ ، ص١٣٠.

(٦) المصدر نفسه ص١٣٠.

(٧) سورة يوسف ، الآيتان ٩٧-٩٨.

(٨) تاريخ الاسلام (الخلفاء الراشدون) ــ شمس الدين الذهبي ــ تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعة الثانية- ١٩٨٩ ، ص٣٧٧.

(٩) ديوان طرفة بن العبد البكري مع شرح الاعلم الشنتمريّ ــ تصحيح : مكس سلغسون ــ مدينة شالون-١٩٠٠ ، ص١٥٩.

(١٠) ديوان النابغة الذبياني ــ تحقيق وشرح: محمد الطاهر بن عاشور ــ الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر -١٩٦٧ ، ص٤٩.

(١١) المصدر نفسه ، ص١٧.

(١٢) المصدر نفسه ، ص١٨.

(١٣) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي واخباره ــ صنعة: يحيى بن مدرك الطائي ــ رواية: هشام بن محمد الكلبي ــ دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية-١٩٩٠ ، ص٢٥٠.

(١٤) سورة العنكبوت الآية ٦١.

(١٥) سورة العنكبوت الآية ٦٣.

(١٦) ديوان طرفة ، ص١٤٨.

(١٧) ديوان حاتم الطائي ــ تقديم: د. مفيد محمد قميحة ــ دار ومكتبة الهلال ، ص٧٦.

(١٨) شعر زهير بن ابي سُلمى ــ صنعة: الاعلم الشنتمري ــ تحقيق: د. فخر الدين قباوة ــ المكتبة الوطنية ــ حلب ــ الطبعة الاولى-١٩٧٠ ، ص١٤.

(١٩) شعر ابي زيبد الطائي ــ جمعه وحققه: الدكتور نوري حمودي القيسي ــ مطبعة المعارف ــ بغداد-١٩٦٧ ، ص٥٦.

(٢٠) المحبر ــ محمد بن حبيب ــ رواية: ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري ــ اعتنت بتصحيحه: الدكتورة ايلزة ليختن شتيتر ــ دار الافاق الجديدة ــ بيروت ، ص٣٢٣-٣٢٤.

(٢١) المصدر نفسه ، ص٣٢٣-٣٢٤.

(٢٢) المفصل ، ج٦، ص١٣١.

(٢٣) سورة الانعام الآية ٣٠.

(٢٤) سورة المؤمنون الآيات ٣١-٣٨

(٢٥) الحيوان ــ الجاحظ ــ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ــ مكتبة مصطفى البابي الجلبي ــ مصر ــ الطبعة الثانية-١٩٦٧ ، ج٦، ص٢٠٩.

(٢٦) المصدر نفسه ، ج٦، ص٢٠٧.

(٢٧) ديوان طرفة بن العبد ، ص١٤٨-١٤٩.

(٢٨) المصدر نفسه ، ص٥٨.

(٢٩) ديوان النابغة الذبياني ــ تحقيق وشرح: كرم البستاني ــ دار صادر ــ بيروت ، ص٢٨.

(٣٠) تاريخ الرسل والملوك ــ الطبري ــ تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ــ دار المعارف بمصر ــ الطبعة الثانية ــ ج٢، ص١٢٣.

(٣١) سورة البروج ، الآيات ٤-٨.

(٣٢) ديوان طرفة بن العبد ــ تقديم: كرم البستاني ــ دار صادر ــ بيروت ، ص١٢.

(٣٣) ديوان الأعشى الكبير ــ ميمون بن قيس ــ شرح وتعليق د. محمد محمد حسين ــ دار النهضة العربية ــ بيروت-١٩٧٤ ، القصيدة ٤، البيت ٦٠، ص٩٣.

(٣٤) ديوان عدي بن زيد العبادي ــ تحقيق وجمع: محمد جبار المعيبد ــ شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ــ بغداد-١٩٦٥ ، ص٨٨.

(٣٥) تاريخ الطبري (خبر الساطرون) ، ج٢، ص٤٧-٥٠.

(٣٦) سورة الصافات الايات ١٣٣-١٣٨.

(٣٧) ديوان طرفة ، ص٢٩.

(٣٨) سورة البقرة الآية ١٨.

(٣٩) سورة آل عمران الاية ٦٦.

(٤٠) المحبر ، ص١٧١-١٧٢.

(٤١) المفصل ، ج٦، ص٤٨٤.

(٤٢) المصدر نفسه ، ج٦، ص٤٨٤ والبيت مما اخل به ديوان امية بن أبي الصلت .

(٤٣) السنن ــ ابن ماجه (ابو عبد الله محمد بن يزيد) ــ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ــ بيروت ، ج٢، ص١٢٣٦ والمزهر في علوم اللغة وأنواعها ــ جلال الدين السيوطي ــ تحقيق: محمد احمد جاد المولى

وعلي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم ــ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ، ج٢، ص٣٠٩.

(٤٤) سورة الفرقان الآية ٧.

(٤٥) المحبر ، ص٢٣٧-٢٩١.

(٤٦) المصدر نفسه ، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٤٧) الكامل في التاريخ ــ ابن الاثير ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة-١٩٨٠ ، ج٢، ص٢٦ والسيرة النبوية ــ ابن هشام ــ تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ــ دار إحياء التراث العربي ، ج١، ص١٣٣-١٣٤.

(٤٨) ينظر شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه ــ د. يحيى الجبوري ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الخامسة- ١٩٩٨ ، ص٣٠.

(٤٩) السيرة لابن هشام ، ج١، ص١٣٤ .

(٥٠) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ــ تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم ــ دار بيروت-دار صادر ــ بيروت-١٩٥٨ ، ص٩٣.

(٥١) أمية بن ابي الصَّلت -حياته وشعره ــ دراسة وتحقيق: د. بهجت عبد الغفور الحديثي ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ الطبعة الثانية-١٩٩١ــ المقطوعة ١٣٤ ، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٥٢) المحبّر ، ١٣٧-١٣٨.

(٥٣) سورة التوبة الآية ١٩.

(٥٤) سورة البقرة الآيتان ١٦٩-١٧٠.

(٥٥) السيرة لابن هشام ، ج١، ص٢٤٧.

(٥٦) ينظر المصدر نفسه ، ج٢، ص٤١٨.

(٥٧) الروض الأنف ــ عبد الرحمن السهيلي ــ تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرحمن الوكيل ــ دار الكتب الحديثة ــ القاهرة ، ج٤، ص١٦.

(٥٨) صحيح مسلم ــ شرح النووي ــ مكتبة زهران ــالقاهرة ، ج١٦، ص٣٤.

(٥٩) المصدر نفسه ، ج١٢، ص١٩٩.

(٦٠) الكامل في التاريخ ــ ابن الاثير ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ــ ١٩٨٠ ، ج٢، ص٢٣٨.

(٦١) صحيح مسلم ، ج١٢، ص١٩٩.

(٦٢) سورة النصر الآيات ١ ــ ٣ .